عقوق الوالدين

أسباب عذاب القبر

obeikandl.com

obeikandl.com

عقوق الوالدين

الحمد لله رب العالمين: الذي خلق آدم من طين فسواه، ورد إلى يعقوب بصره حين ابيضت عيناه، وقال لحبيبه محمد ﷺ :{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ} [النحل: ١٢٧].

الملك ملكه، والحكم حكمه، والأمر أمره، إنما أمره بين الكاف والنون إذا قال للشيء كن فيكون.

سبحانه: أعد الجنة والرحمة لمن أطاعه، وأعد النار وسخطه لمن عصاه، فقال ﷻ :{إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى * وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى) [طه: ٧٤ - ٧٦].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: نهانا عن العقوق، ورتب العقاب الشديد عليه، فقال ﷻ :{وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [الرعد: ٢٥].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً ﷺ : حذرنا من عقوق الوالدين، وبين لنا ما يترتب عليه، فروى الطبراني في معجمه الأوسط أن الرسول ﷺ قال:«... وإياكم وعقوق الوالدين، فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، والله لا يجدها عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جار إزاره خيلاء، إنما الكبرياء لله رب العالمين» فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: أخوة الإسلام:

ما زال الحديث موصولاً في أسباب عذاب القبر، وها نحن اليوم

مع سبب آخر من أسباب عذاب القبر ألا وهو: عقوق الوالدين.

فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله ﷻ أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن تتناول موضوعنا اليوم، يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق، هي الأساس في موضوعنا.

الحقيقة الأولى: إن الوالدين هما أصحاب الفضل الأكبر على الإنسان بعد الله ﷻ، فهما سبب وجودك في هذه الدنيا، ولقد تحملا من التعب والعناء ما لا يمكن أن يتحملَه أحدٌ، فبفضل رعاية الأب والأم قوي عضدُك واشتد ساعدُك، حتى صرتَّ إنساناً كاملاً، ورجلاً قوياً على الجهاد في معترك الحياة.

ومن أجل هذا: أوجب الله ﷻ البر للوالدين والإحسان إليهما، وقد قرن ذلك بتوحيده، فقال ﷻ :{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا} [الإسراء: ٢٣].

وقال ﷻ :{وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [النساء: ٣٦].

ولقد جعل الرسول ﷺ بر الوالدين من أفضل القربات التي يتقرب بها الإنسان إلى ربه ﷻ، فروى البخاري ومسلم أن ابن مسعود ﷺ قال: سألت الرسول ﷺ أي العمل أحب إلى الله ﷻ ؟ فقال الرسول ﷺ :«**الصلاة لوقتها**» قلت: ثم أي؟ قال ﷺ :«**بر الوالدين**» قلت: ثم أي؟ قال ﷺ :«**الجهاد في سبيل الله ﷻ**».

بل قدم الرسول ﷺ بر الوالدين على الهجرة والجهاد في سبيل الله ﷻ، فروى مسلم أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ الله ﷺ فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ، أَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ الله ﷻ، قَالَ ﷺ :«فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ» قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلاَهُمَا، قَالَ ﷺ :«فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ الله» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ ﷺ :«فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ، فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا».

الحقيقة الثانية: إن الإنسان منا مهما قدم لوالديه فهو قليل في جانب ما قدماه، فمهما قدم الإنسان من معروف، ومهما فعل من خير، فلن يستطيع أن يؤدي ولا جزءاً يسيراً مما قدمه الوالدان طوال مراحل عمر الإنسان المختلفة، ولقد أشار الرسول ﷺ إلى هذه الحقيقة، فروى مسلم وغيرُه أن الرسول ﷺ قال:«**لا يجزي ولدٌ والدَه، إلا أن يجدَه مملوكاً، فيشتريه فيعتقَه**».

وروى البخاري في الأدب المفرد وأبو داود في الأدب أن ابن عمر ﷺ شهد رجلاً يمانياً يطوف بالبيت، حمل أمه وراء ظهره، وهو يقول:

إني لهـــا بعيرُهـــا المـــذلل ::: إن أُذعـرتْ ركابُهـا لم أُذعـــر

الله ربـــي ذو الجـــلال الأكبـــر

حملتُهـــا أكثـــر ممـــا حملـــت ::: فهل ترى جازيتها يا ابـــن عمـــر

ثم قال: يا بن عمر أتراني جازيتُها؟ قال ابن عمر ﷺ : لا، ولا بزفرة واحدة، وفي رواية: ولا بسهر ليلة من لياليها عليك، ولكن قد أحسنت، والله ﷻ يثيبك على القليل كثيراً.

الحقيقة الثالثة: إن الله ﷻ حرم علينا جميعاً عقوق الوالدين، فقال ﷻ : {فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا} [الإسراء: ٢٣].

وروى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال:«إِنَّ الله حَـرَّمَ عَلَـيْكُمْ

عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ».

ونظر الرسول ﷺ إلى العقوق نظرة عدائية، فجعله شؤما وشراً مستطيراً، ومن أكبر الكبائر، فروى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال:«أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟» ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ ﷺ: «الْإِشْرَاكُ بالله، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ» وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ:«أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ» قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

ولقد دعا الرسول ﷺ بالذل على العاق لوالديه، فروى مسلم أن الرسول ﷺ قال:«رَغِمَ أَنْفُ» أي لصقه بالتراب، والمقصود الدعاء عليه بالذل«ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ» قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ ﷺ: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ».

فمن أدرك أبويه أو أحدَهما حياً، ولم يكن سبباً في دخوله الجنة، استحق نار جهنم، فروى الحاكم عن كعب بن عُجْرَةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :«أحضروا المنبر» فحضرنا، فلما ارتقى درجة قال:«آمين» فلما ارتقى الدرجة الثانية، قال:«آمين» فلما ارتقى الدرجة الثالثة، قال:«آمين».

فلما نزل، قلنا: يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه، قال ﷺ :«إن جبريل ﷺ عَرَض لي فقال: بُعداً لمن أدرك رمضان فلم يغفر له، قلت: آمين، فلما رقيت الثانية، قال: بعداً لمن ذُكِرتَّ عنده فلم يُصل عليك، قلت: آمين، فلما رقيت الثالثة، قال: بعداً لمن أدرك أبواه الكبرَ، أو أحدهُمَا، فلم يُدخِلاه الجنة، قلت: آمين».

الحقيقة الرابعة: إن عقوق الوالدين وبخاصة الأم يكون سبباً في استجابة الله ﷻ دعوة الأم على ابنها العاق، فروى مسلم وأحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ كَانَ جُرَيْجٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَتِهِ، قَالَ: فَأَتَتْهُ أُمُّهُ، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ فَكَلِّمْنِي، قَالَ: وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ يَصِفُ كَمَا كَانَ

رَسُولُ الله ﷺ يَصِفُهَا وَضَعَ يَدَهُ عَلَى حَاجِبِهِ الأَيْمَنِ، قَالَ: فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّي، فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي، فَاخْتَارَ صَلاتَهُ، فَرَجَعَتْ ثُمَّ أَتَتْهُ، فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ فَكَلِّمْنِي، فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي، فَاخْتَارَ صَلاتَهُ، ثُمَّ أَتَتْهُ فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ فَكَلِّمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي، فَاخْتَارَ صَلاتَهُ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا جُرَيْجٌ وَإِنَّهُ ابْنِي، وَإِنِّي كَلَّمْتُهُ فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِي، اللَّهُمَّ فَلا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ الْمُومِسَاتِ.

وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَتَنَ لافْتُتِنَ، قَالَ: وَكَانَ رَاعٍ يَأْوِي إِلَى دَيْرِهِ: قَالَ: فَخَرَجَتْ امْرَأَةٌ فَوَقَعَ عَلَيْهَا الرَّاعِي، فَوَلَدَتْ غُلامًا، فَقِيلَ: مِمَّنْ هَذَا؟ فَقَالَتْ: هُوَ مِنْ صَاحِبِ الدَّيْرِ، فَأَقْبَلُوا بِفُؤُوسِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ، وَأَقْبَلُوا إِلَى الدَّيْرِ، فَنَادَوْهُ، فَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ، فَأَخَذُوا يَهْدِمُونَ دَيْرَهُ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: سَلْ هَذِهِ الْمَرْأَةَ، قَالَ: أَرَاهُ تَبَسَّمَ، قَالَ: ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَ الصَّبِيِّ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ، قَالَ: رَاعِي الضَّأْنِ، فَقَالُوا: يَا جُرَيْجُ: نَبْنِي مَا هَدَمْنَا مِنْ دَيْرِكَ بِالذَّهَبِ، قَالَ: لاَ، وَلَكِنْ أَعِيدُوهُ تُرَابًا كَمَا كَانَ، ثُمَّ عَلاَهُ.

فاحذر أيها الابن العاق دعوة الأم عليك، فإن الله ﷻ يستجيب دعائها على ابنها العاق، كما يستجيب دعائها لابنها البار.

أخوة الإسلام:

إن عقوق الوالدين له مظاهر متنوعة وأشكال عديدة، فتعالوا معي لنتعرف على مظاهر عقوق الوالدين.

أولاً: إدخال الحزن والبكاء عليهما: سواء ذلك بالقول أو بالفعل، أو بالتسبب في ذلك، فكثير من الأولاد وخاصة الشباب يتعمدون القيام بأعمال تكون سبباً في إدخال الحزن على الوالدين، وبالتالي إبكائهما، وإذا نظرنا إلى الواقع الذي نعيش فيه نجد أن هذا الشكل من العقوق منتشر في هذه الأيام.

والرسول ﷺ رفض هذا الشكل من العقوق، فروى أبو داود أن رجلاً جاء رجل إلى النبي ﷺ يبايعه على الهجرة، فقال: إني جئت أبايعك على الهجرة، وتركت أبواي يبكيان، فقال ﷺ :«ارجع إليهما، فأضحكهما كما أبكيتهما».

فانظر أخي المسلم إلى هذا الرجل وماذا فعل؟ إنه جاء إلى الرسول ﷺ ليبايعه على الهجرة، وهذا العمل مشروع وواجب عليه، ولكن هذا العمل جعل الوالدين يبكيان، فأمره الرسول ﷺ بالرجوع مرة ثانية إلى الوالدين، ويترك الهجرة؛ لأن بهجرته سبب إدخال الحزن والبكاء على والديه، بل لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل أمره الرسول ﷺ بإدخال السرور والفرح عليهما، كما أدخل الحزن عليهما، فقال الرسول ﷺ له:«فأضحكهما كما أبكيتهما».

ولكن من أين لنا برسول الله ﷺ الآن؛ ليرى جموع الشباب وهي ترتكب أعمالاً تكون سبباً في إدخال الحزن على الأبوين وإبكائهما، فليحذر كلُ ابنٍ فينا من إدخال الحزن على والديه، فإن ذلك من العقوق لهما.

ثانياً: النهر والزجر: ويتحقق هذا برفع الصوت والإغلاظ عليهما بالقول، وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم نجد أن الله ﷻ نهانا عن نهر وزجر الوالدين، فقال ﷻ :{وَلاَ تَنْهَرْهُمَا} [الإسراء: ٢٣].

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل أمرنا الله ﷻ أن نتأدب عند مخاطبة الوالدين، وأن نتصف باللين في الكلام معهما، فقال ﷻ : {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} [الإسراء: ٢٤].

فإذا كان الشرع قد نهانا عن النهر والزجر للوالدين، إلا أنه نجد كثيراً من الأبناء يرتكبون هذا المظهر من مظاهر العقوق، مدعين أن لهم السطوة في القول والفعل، طالما هو الذي ينفق من ماله.

وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على سوء أدب من الابن

لوالديه، فليحذر كل ابن فينا أن يقوم بنهر أبويه وزجرهما، فإن ذلك يعرضه لغضب المنتقم الجبار.

واسمع معي أخي المسلم إلى هذا الحوار الذي دار بين عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ورجل آخر، فروى البخاري في الأدب المفرد أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال لرجل: أتفرق من النار، وتحب أن تدخل الجنة؟ قال الرجل: إي والله، قال ابن عمر رضي الله عنه : أحي والداك؟ فقال الرجل: عندي أمي، قال ابن عمر رضي الله عنه : فو الله لو ألنت لها الكلام، وأطعمتها الطعام، لتدخلن الجنة ما اجتنبت الكبائر.

وكان أحد سلفنا الصالح تناديه أمه ذات مرة، فأجابها، فعلا صوتُه على صوتها، فأعتق رقبتين.

ثالثاً: التأفف والتضجر من الأوامر: فكم من الأبناء إذا أمره والداه بأي أمر، أو طلبا منه أي طلب، تجده يتأفف ويتضجر، ويُصدِّر كلامَه بكلمة أف، ويتذمر من طلبات أبويه، فهذا من العقوق الذي قد نهانا عنه الشرع، فقال ﷻ :{فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ} [الإسراء: ٢٣].

وروي أن الرسول ﷺ قال:«**لو علم الله شيئاً أدنى من الأف، لنهى عنه**».

رابعاً: العبوس في الوجه: فبعض الأبناء يجده في المجالس بشوشاً مبتسماً حسن الخلق، ينتقي من الكلام أحسنه، ومن الحديث أعذبه، فإذا ما دخل المنزل، وجلس بحضرة والديه انقلب ليثاً هصوراً، لا يلوي على شيء، فتبدلت حاله، وذهبت وداعته، وتولت سماحته، وحلت غلظته وفظاظته وبذاءته، مع أن الأولى بالبشاشة وحسن الخلق هما الوالدين.

فروى الترمذي وابن ماجه والبيهقي أن الرسول ﷺ قال:«**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**».

وتعلم أخي المسلم من سيدنا إبراهيم ﷺ وهو يدعو أباه إلى التوحيد، وأباه يدعوه إلى الشرك، وسيدنا إبراهيم ﷺ يرشده بحلم، لكن أباه يعترضه بغضب وشدة، فلم يعبس في وجهه، ولم يغلظ له في القول، فقال ﷻ :{وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياً * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِياً * يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِياً * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِياً * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِياً * قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِياً * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِياً} [مريم: ٤١ - ٤٧].

فسيدنا إبراهيم ﷺ في هذا الحوار لم يصف أباه بالجهل المفرط، ولم يصف نفسه بالعلم الفائق، ولكنه ﷺ قال: إن معي طائفة من العلم، وشيئاً منه ليس معك، فاقبل قولي ونصحي.

فيا ليتنا نقتدي به؛ لأن الله ﷻ جعله قدوة لنا، فقال ﷻ :{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ} [الممتحنة: ٤].

خامساً: اللعن: فكثير من الأبناء في هذه الأيام يقيمون بسب وشتم ولعن والديه، إما مباشرة أو بالتسبب في ذلك، كأن يسب الابن أبَ أحدٍ من الناس، فيرد عليه بسب أبيه.

ولقد جعل الرسول ﷺ هذا النوع من العقوق من الكبائر، فروى مسلم وغيرُه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ:«مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ» قَالُوا يَا رَسُولَ الله: هَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ ﷺ :«نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ».

سادساً: إيثار الزوجة على الوالدين: فمن الأبناء من يقدم طاعة الزوجة على طاعة والديه، ويؤثرها عليهما، فلو طلبت الزوجة منه

أدنى طلب، قام على الفور بتلبيته، حتى ولو طلبت منه الزوجة بطرد والديه لطردهما، حتى ولو كان بلا مأوى، ونرى بعض الأبناء من يقدم حقوق الزوجة على حقوق الوالدين، وهذا ما يقع فيه كثير من الأبناء في هذه الأيام.

سابعاً: عدم الاعتداد برأيهما: فبعض الأبناء لا يبالي برأي أبويه، فهذا من العقوق، وهذا واضح في شبابنا اليوم، فعندما يأمر الأب ابنه بعدم مصاحبة شخص بعينه؛ لأنه من رفقاء السوء، تجد الابن لا يبالي بهذا الطلب، ولا ينفذه، ويدعي بأنه يعرف ما لا يعرفه أباه.

روى الترمذي عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ رَجُلاً أَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّ لِيَ امْرَأَةً، وَإِنَّ أُمِّي تَأْمُرُنِي بِطَلاقِهَا، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ:«**الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ، أَوْ احْفَظْهُ**».

وروى ابن حبان أن رجلاً أتى أبا الدرداء، فقال: إن أبي لم يزل بي حتى تزوجت، وإنه الآن يأمرني بطلاقها، قال أبو الدرداء: ما أنا بالذي آمرك أن تعق والدك، ولا أنا بالذي آمرك أن تطلق امرأتك، غير أنك إن شئت حدثتك ما سمعت من رسول الله ﷺ سمعته يقول:«**الوالد أوسط أبواب الجنة، فحافظ على ذلك إن شئت أو دع**».

ثامناً: التخلي عنهما وقت الحاجة أو الكبر: فبعض الأولاد إذا كبر وصار له عملاً يتقاضى منه مقابل، تخلى عن والديه، واشتغل بخاصة نفسه، ويرفض أن ينفق على والديه، وإذا أنفق يريد مقابل هذا الإنفاق.

فروي أن ولداً اشتكى إلى رسول الله ﷺ أباه، وأنه يأخذ ماله، فدعا به، فإذا هو شيخ يتوكأ على عصا، فسأله الرسول ﷺ، فقال: إنه كان ضعيفاً وأنا قوي، وكان فقيراً وكنت أنا غني، فكنت لا أمنعه شيئاً من مالي، واليوم أنا ضعيف وهو قوي، وأنا فقير وهو غني،

ويبخل عليَّ بماله، فبكى الرسول ﷺ وقال:«ما من حجر ولا مُدَر يسمع هذا، إلا بكى».

تاسعاً: السفر من غير إذنهما: فالسفر أيا كان سببه، حتى ولو كان السفر للجهاد في سبيل الله ﷻ، لا بد وأن يكون بإذن الأبوين، فإذا سافر الابن من غير إذن الأبوين يكون عاقاً.

ولقد نهانا الرسول ﷺ عن السفر من غير إذن الوالدين، فروى أبو داود عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلاً هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْيَمَنِ، فَقَالَ ﷺ :«هَلْ لَكَ أَحَدٌ بِالْيَمَنِ» قَالَ: أَبَوَايَ، قَالَ ﷺ :«أَذِنَا لَكَ؟» قَالَ: لاَ، قَالَ ﷺ :«ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَاسْتَأْذِنْهُمَا، فَإِنْ أَذِنَا لَكَ فَجَاهِدْ، وَإِلاَّ فَبِرَّهُمَا».

واسمع معي أخي المسلم إلى هذا النموذج الرائع من سلفنا الصالح وهو أويس القرني، روى مسلم وأحمد أن عمر بن الخطاب ﷺ إذا

أتى أمداد اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس ابن عامر، قال عمر ﷺ : أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال عمر ﷺ : كان بك برص، فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم، قال عمر ﷺ : ألك والدة؟ قال: نعم، قال عمر ﷺ : سمعت الرسول ﷺ يقول:«يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد اليمن من مراد ثم من قرن، كان به أثر برص، فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بار بها، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل» فاستغفر لي، فاستغفر له، فقال له عمر ﷺ : أين تريد؟ قال: الكوفة، قال عمر ﷺ : ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحبُّ إلي.

فالذي منع أويس من القدوم على المدينة للقاء رسول الله ﷺ بره بأمه، فلما بر أمه بر الله ﷻ قسمه، بل وأبر الله ﷻ شفاعته.

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على أسباب عقوق الوالدين.

السبب الأول: الجهل: فالجهل داء قاتل، والجاهل عدو لنفسه، فإذا جهل الفرد عواقب العقوق العاجلة والآجلة، وجهل ثمرات البر العاجلة والآجلة، قاده ذلك إلى العقوق، وصرفه عن البر.

السبب الثاني: سوء التربية: فالولدان إذا لم يربيا أولادهما على التقوى والبر والصلة، فإن ذلك سيقودهم إلى التمرد والعقوق، ونحن للأسف الشديد افتقدنا التربية الإيمانية للأولاد، وأصبح الجميع اليوم يشكو مر الشكوى من سوء أخلاق الأبناء، والكل يسأل ما السبب؟ ونسى الجميع أن السبب هو سوء التربية، أو إن شئت قل: عدم التربية الإيمانية.

والرسول ﷺ أعطى لنا النموذج الرائع في التربية الإيمانية للأولاد، فروى البخاري عن عُمَرَ ابْنَ أَبِي سَلَمَةَ يَقُولُ: كُنْتُ غُلامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ الله ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ :«يَا غُلَامُ: سَمِّ الله، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ.

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً، فقال:«يا غلام: إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف».

السبب الثالث: التناقض: ويتحقق ذلك بأن الوالدين يعلمان الأولاد وهما لا يعملان بما يعلمان، بل ربما يعملان نقيض ذلك، فهذا الأمر

يدعو للتمرد والعقوق، ولقد حذرنا المولى ﷻ من هذا، فقال:{أَتَـأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُـونَ الكِتَـابَ أَفَـلاَ تَعْقِلُـونَ} [البقرة: ٤٤].

وقال ﷻ :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتـاً عِنـدَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ} [الصف: ٢، ٣].

السبب الرابع: الصحبة السيئة للأولاد: وهذا من أخطر الأشياء على الأولاد، ولها الأثر الواضح على العقوق، كما أنها ترهق الوالدين، وتضعف أثرهما في التربية، والرسول ﷺ حذرنا من الصحبة السيئة، روى أحمد أن الرسول ﷺ قال:«المْرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَـنْ يُخَالِطُ) وفي رواية: (مَنْ يُخَالِلُ».

ولقد بين الله ﷻ لنا النتيجة الحتمية لصحبة السوء، فقال ﷻ : {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُـولِ سَـبِيلاً * يَـا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً} [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

السبب الخامس: التفرقة بين الأولاد: فهذا العمل يورث في نفوس الأولاد الشحناء والبغضاء، ويسود بينهم روح الكراهية، ويقودهم إلى بغض الوالدين وقطيعتهما.

ولقد أمرنا الرسول ﷺ بالتسوية بين الأولاد، فروى البيهقي أن الرسول ﷺ قال:«سَوُّوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ، فَلَـوْ كُنْـتُ مُفَضِّـلاً أَحَـدًا، لَفَضَّلْتُ النِّسَاءَ».

وفي رواية:«سووا بين أولادكم في العطية، كما تحبون أن يسووا بينكم في البر».

وروى البخاري عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ

رَسُولَ الله ﷺ، فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ ﷺ: «أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا» قَالَ: لا، قَالَ ﷺ: «فَاتَّقُوا الله وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ» قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ.

السبب السادس: سوء خلق الزوجة: فقد يبتلى الإنسان بزوجة سيئة الخلق، لا تخاف الله ﷻ، ولا ترعى الحقوق، فتجدها تغري الزوج بأن يتمرد على والديه، أو يخرجهما من المنزل، أو يقطع إحسانه عنهما، ليخلو لها الجو بزوجها، وتستأثر به دون غيره.

جاء في تاريخ الأمم والرسل والملوك للطبري: أن سيدنا إبراهيم عليه السلام استأذن سارة أن يأتي هاجر، فأذنت له، وشرطت عليه ألا ينزل، فقدم وقد ماتت هاجر، فذهب إلى بيت إسماعيل، فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ليس هاهنا، ذهب يتصيّد، وكان إسماعيل عليه السلام يخرج من الحرم يتصيّد، ثم يرجع، قال إبراهيم عليه السلام: هل عندك ضيافة؟ قالت: ليس عندي ضيافة، وما عندي أحد، فقال إبراهيم عليه السلام: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام، وقولي له: فليغيّر عتبة بابه.

وعاد إبراهيمُ عليه السلام، وجاء إسماعيلُ عليه السلام فوجد ريح أبيه، فقال لامرأته: هل عندك أحد؟ قالت: جاءني شيخ كذا وكذا، كالمستخفّة بشأنه، قال: فما قال لك؟ قالت: قال: أقرئي زوجك السلام، وقولي له: فليغيّر عتبة بابه، فطلّقها وتزوج أخرى.

فلبث إبراهيم عليه السلام ما شاء الله أن يلبث، ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل، فأذنت له وشرطت عليه أن ينزل، فجاء إبراهيم عليه السلام حتى انتهى إلى باب إسماعيل عليه السلام فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ذهب ليتصيّد وهو يجيء الآن إن شاء الله عليه السلام، فانزل يرحمك الله.

فقال عليه السلام: هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم، قال عليه السلام: فهل عندك

خبز أوبرٌّ أو شعير لكانت أكثر أرض الله من ذلك، فقالت: انزل حتى أغسل رأسك، فلم ينزل، فجاءته بالمقام بالإناء فوضعته عند شقّه الأيمن، فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه فيه، فغسلت شقّ رأسه الأيمن ثمّ حوّلت المقام إلى شقه الأيسر ففعلت به كذلك، فقال لها ﷺ : إذا جاء زوجك فأقرئيه عني السلام، وقولي له: قد استقامت عتبة بابك.

فلمّا جاء إسماعيل ﷺ وجد ريح أبيه فقال لامرأته: هل جاءكِ أحد؟ قالت: نعم، شيخ أحسن النّاس وجهاً، وأطيبهم ريحاً، فقال: لي كذا وكذا، وقلتُ: له كذا وكذا، وغسلت رأسه، وهذا موضع قدمه، وهو يُقرئك السلام، ويقول: قد استقامت عتبة بابك، قال ﷺ : ذلك إبراهيم ﷺ.

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أعدها الله ﷻ للعاق لوالديه:

أولا: العقوبات الدنيوية:

١ – عقوق الوالدين يُذهب إشراقة الوجه ويُطفئ نورَه: روى الطبراني في معجمه الأوسط، أن الرسول ﷺ قال:«احفظ وُدَّ أبيك، لا تقطعه، فيُطفئ الله نورَك».

٢ – عدم قبول الأعمال: روى الطبراني في معجمه الكبير أن الرسول ﷺ قال:«ثَلاثَةٌ لا يُقْبَلُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفٌ وَلا عَدْلٌ: عَاقٌّ، وَمَنَّانٌ، وَمُكَذِّبٌ بِقَدْرٍ».

وروى الطبراني في معجمه الكبير أن الرسول ﷺ قال:«ثَلاثَةٌ لا يَنْفَعُ مَعَهُنَّ عَمَلٌ: الشِّرْكُ بالله، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ».

٣ – اللعن: روى مسلم أن الرسول ﷺ قال:«لَعَنَ الله مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله،

وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ الْمَنَارَ».

٤ - تعجيل العقوبة في الدنيا قبل الممات: روى الحاكم أن الرسول ﷺ قال:«كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة، إلا عقوق الوالدين، فإن الله ﷻ يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات».

وروى البزار أن الرسول ﷺ قال:«كُلُّ الذُّنُوبِ يُؤَخِّرُ اللهُ مِنْهَا مَا شَاءَ، إِلاَّ الْبَغْيَ وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ، يُعَجِّلُهُ اللهُ لِصَاحِبِهِ قَبْلَ الْمَمَاتِ».

وإن في حوادث الأيام لو تفكرنا فيها لثبت لنا صحة هذا، فروى الأصمعي أن رجلا من الأعراب حدثه فقال: خرجت من الحي أطلب أَعَقَّ الناس، وأبرَّ الناس، فكنتُ أطوفُ بالأحياء، حتى انتهيت إلى شيخ في عنقه حبلٌ، يَستقِي بِدَلوٍ لا تُطِيقُه الإبلُ في الهاجرة والحرُّ شديدٌ، وخلفه شابٌ في يده رِشَاءٌ (حبل) من قِدٍّ (السوط، وهو في الأصل سير يقد، أي يقطع من جلد مدبوغ) ملويٌّ يضربه به، قد شقَّ ظهره بذلك الحبل، فقلت: أما تتقي الله في هذا الشيخ الضعيفِ؟ أما يكفيه ما هو فيه من هذا الحبل حتى تَضرِبَه؟ قال: إنه مع هذا أبي.

قلت: فلا جزاك الله خيراً، قال: اسكت، فهكذا كان هو يصنع بأبيه، وهكذا كان يصنع أبوه بجده، فقلت: هذا أعقُّ الناس.

ثانيا: العقوبات التي في القبر:

روى الذهبي في كتاب الكبائر أن الرسول ﷺ قال:«رأيت ليلة أسري بي أقواماً في النار، معلقين في جذوع من نار، فقلت يا جبريل: من هؤلاء؟» قال جبريل ﷺ : الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم في الدنيا.

وذكر أيضاً:«أنه من شتم والديه ينزل عليه في قبره جمر من نار، بعدد كل قطر ينزل من السماء إلى الأرض».

وذكر أيضاً:«أنه إذا دفن عاق لوالديه، عصره القبر، حتى تختلف أضلاعه».

ثالثا: العقوبات التي في الآخرة:

١ - لا ينظر الله ﷻ إليه يوم القيامة: روى الحاكم والنسائي أن الرسول ﷺ قال:«ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: عاق والديه، ومدمن الخمر، ومنان بما أعطى».

٢ - عدم دخول الجنة: روى أحمد أن الرسول ﷺ قال:«ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُّ، وَالدَّيُّوثُ الَّذِي يُقِرُّ فِي أَهْلِهِ الْخُبْثَ»

وروى الطبراني في معجمه الأوسط أن الرسول ﷺ قال:«... وإياكم وعقوق الوالدين، فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، والله لا يجدها عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جار إزاره خيلاء، إنما الكبرياء لله رب العالمين».

* * *